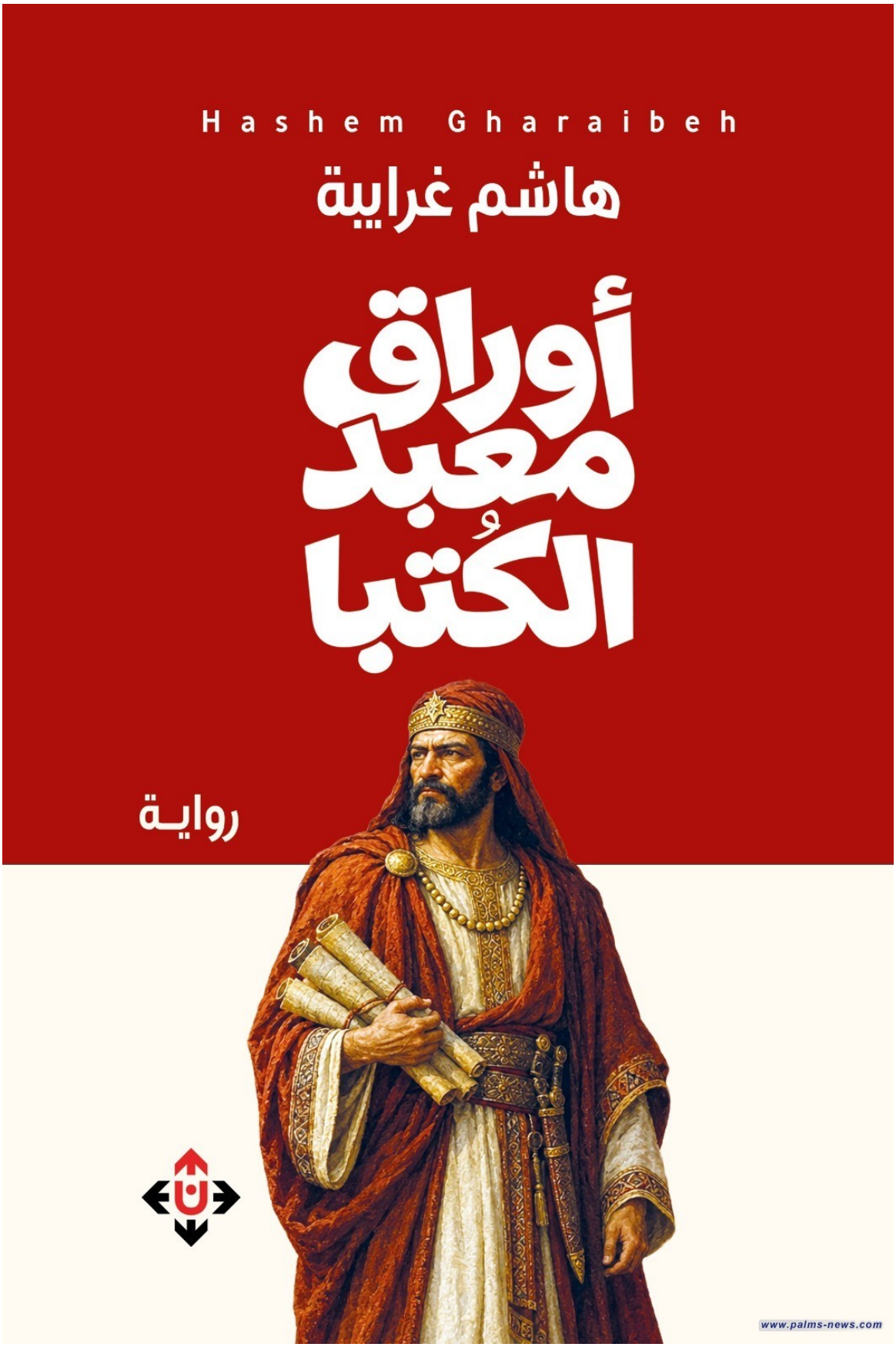
"أوراق معبد الكُتبا" لـ هاشم غرايبة.. استعادة عالم الأنباط من بوابة التاريخ والخيال



نخيل نيوز /خاص

تقدّم رواية "أوراق معبد الكُتبا" للكاتب الأردني هاشم غرايبة قراءة في عالم الأنباط، مستعيداً من خلال السرد أجواء "بترا" (الواقعة جنوب الأردن) ومحيطها، ومقترباً من تفاصيل الحياة والرحلات والعلاقات الإنسانية والسياسية في زمنٍ تشابكت فيه المهمات السرية مع الأسئلة المتعلقة بالهوية والسلطة والمكان.

وتتحرك الرواية التي صدرت في طبعة جديدة عن "الآن ناشرون موزعون" بالأردن (2026) بين عدد من الأصوات والشخصيات، في مقدمتها "سفيان" و"كلاوبا" و"أليسار" وقائد القافلة "يعقوب السبئي"، لتصنع عالماً روائياً يستند إلى التاريخ ويمنحه الكاتب مساحة واسعة للخيال والتأمل.

وتصدر الرواية عن دار نشر «الآن ناشرون وموزعون»، ضمن إصداراتها الأدبية، فيما تولى الفنان عيد بنات تصميم الغلاف.

وتبدأ الرواية التي جاءت في 240 صفحة، في بناء عالمٍ من خلال سردٍ متعدد الأصوات، يمنح كلَّ شخصية زاوية مختلفة في النظر إلى الأحداث، ويستفيد من الرحلة بوصفها إطاراً لتحريك الشخصيات وكشف دواخلها. وفي خلفية هذا المسار تظهر "بترا" بوصفها مركزاً للحكاية، لا باعتبارها مكاناً تاريخياً فحسب، وإنما فضاءً حياً تتقاطع فيه التجارة والسياسة والدين والعلاقات الإنسانية، فيما تمتد الرحلة إلى "مأدبا" وغيرها من الأماكن التي تستحضرها الرواية ضمن زمنها التاريخي.

وتكشف الرواية منذ صفحاتها الأولى عن عناية واضحة بالتفاصيل، سواء في وصف الطبيعة والطرق والقوافل، أو في رسم الشخصيات وطريقة حديثها وتفاعلها مع الأحداث. ويستند غرايبة إلى تعدد الأصوات السردية، بحيث يبدو القارئ أمام مجموعة من الشهادات والذكريات والانطباعات التي تتكامل تدريجياً لتكوين صورة أوسع عن عالم الرواية.

ومن أجواء الرواية، نقرأ لشخصية "سفيان" في لحظة صفاء نادرة خلال الرحلة: "تمشّيتُ قليلاً مع مضيفي منشرحَ النفس، وانتابتني موجة صفاء وحبور لم تزرني منذ كُلّفت بهذه المهمة.. أول مرة منذ خرجنا من بترا أشعر بودّ تجاه قائد القافلة، وأغفر له صمته، وإنهاكنا بالسير المتواصل من بترا وحتى مأدبا".

ويواصل "سفيان" السرد في رسم المشهد الطبيعي المحيط بالقافلة، قائلاً: "هبّت رياح مديدة رطبة حاملةً معها "الضوع الراتنجي" للحطب المحترق، ولاحت لي مرة ثانية فرصة التمعن بنيران قلعة مكاور وهي تغوص وسط الغيم الرهيف.. عند خيمتي ودّعني القائد يعقوب متمنياً لي نوماً طيباً، ومضى يتم جولته على المخيم والإبل الهاجعة".

وفي مشهد آخر، تتحول لحظة السكون إلى فرصة للكتابة والتأمل، حيث يصف "سفيان" القمر والغيم بقوله: "كان القمر يركض نحو الغرب، والغيم يسبح حول قمة الجبل، ويطير إلى الشرق في فِرَق تأخذ أشكالاً متغيرة دائماً، ويرسم فوق التلال والوديان وجروف الصخر قوافل مرحة تسخر من قوافلنا وأحمالها". ثم يضيف: "طلبتُ من كلاوبا إحضار أوراقي وريشتي، ورحتُ أكتب هذه السطور على ضوء نار المخيم.. ولم أنتبه إلا عندما بدأت حبّات المطر تبلّل كلماتي، فقمتُ إلى خبائي".

وفي فصل بعنوان "قائد القافلة"، تقدم الرواية جانباً آخر من شخصية "يعقوب"، وتكشف رؤيته لمسؤوليات القيادة، إذ يقول: "إذا لم يُبقِ القائد عينه مفتوحةً على جماعته ينفرط سلطانُه عليهم". ثم يوضح مفهومه للقيادة قائلاً: "قيادة القافلة لا تقتصر على حمايتها من قطاع الطرق، وتحديد أماكن الاستراحة ومواعيد المسير فحسب، بل يتطلب الأمر العناية بسلامة المسافرين، وصحتهم، وحل مشاكلهم وإشكالاتهم".

ويكشف هذا المقطع عن طبيعة السلطة داخل القافلة، وعن العلاقة بين القائد وأفرادها، خصوصاً مع تصاعد الشكوك حول "كلاوبا" والمرأة التي ترافقه، إذ يقول "يعقوب": "لكن كلاوبا لن يفلت من العقاب"، في إشارة إلى الصرامة التي تحكم مسار الرحلة، وما يترتب على مخالفة القواعد من نتائج.

تجمع "أوراق معبد الكُتبا" بين أجواء الرحلة التاريخية والتأمل في الإنسان، مستفيدة من "بترا" ومحيطها بوصفهما خلفية واسعة لحكاية تتعدد فيها الشخصيات والأصوات، بينما تظل الأسئلة المتعلقة بالواجب والولاء والخوف والحرية حاضرة في مسار الأحداث. كما تمنح الروايةُ الطبيعةَ حضوراً بارزاً، فتتحول الجبال والوديان والغيوم والنيران والطرق إلى عناصر فاعلة في تشكيل الحالة النفسية للشخصيات، وليس مجرد خلفية للأحداث.

ويعتمد غرايبة في روايته على لغة تجمع بين السرد والتأمل والوصف، مع الاستناد إلى مفردات وأسماء وأمكنة مستمَدَّة من العالم النبطي، بما يضفي على النص خصوصيته ويعزز إحساس القارئ بأنه أمام عالم تاريخي متكامل، تُعاد صياغته روائياً من خلال شخصيات تحمل أسرارها وذكرياتها ومخاوفها، وتسير في رحلة لا تبدو حدودها واضحة بين ما هو شخصي وما هو مرتبط بمصير المدينة ومجتمعها.

نقرأ على الغلاف الأخير للرواية: "عصراً، انطلقَتْ أبواقُ النصر، ونُصبت أقواس الغار على مداخل بترا، وارتفعت الأصواتُ تهتف: عاد الملك.. عاد المنتصر.. أهلاً بالجند المغاوير.. عاش الحارث.. عاشت بترا.. تراجعَ الغزاةُ دونَ قتال! هذا يعني بالنسبة لي: عاد شيمكار سالماً، يا لفرحتي! ذهبتُ إلى حمّام ناوند أتزيّنُ لاستقباله والشوق يكاد يطير بي لأركض مع الصبية الّذين هُرعوا لاستقبال الجيش على درب مسافي القمر.. ليس غير الفارس شيمكار يستطيع أن يردّ عمّي سفيانَ سالماً".

يُذكر أن هاشم غرايبة من مواليد قرية حوّارة شمال الأردن، حصل على شهادة البكالوريوس في المختبرات الطبية من العراق سنة 1975، ثم شهادة البكالوريوس في الاقتصاد من جامعة اليرموك سنة 1990، رأسَ تحرير مجلة "براعم عمّان" التي كانت تُصدرها أمانة عمّان الكبرى (1997)، ورأسَ تحرير مجلة "وسام" التي تُصدرها وزارة الثقافة، كما عُيّن مديراً للدائرة الثقافية في بلدية إربد (2005/2006)، ومنسقاً عاماً لاحتفالية إربد مدينة الثقافة الأردنية سنة 2007. واختير عضواً في مجلس إدارة جامعة إربد الأهليّة (1995)، ومجلس أمناء الكلية الأردنية للعلوم والتكنولوجيا (2007-2009)، ومجلس كلية الفنون الجميلة بجامعة اليرموك (2012-2014).

نال غرايبة جائزة محمود سيف الدين الإيراني للقصة القصيرة من رابطة الكتّاب الأردنيين سنة 1987 عن مجموعته "هموم صغيرة"، ومُنح درع الرواد العرب (من جامعة الدول العربية بالقاهرة) عن مجمل أعماله الأدبية سنة 2000. كما نال جائزة محمدّ نزّال العرموطي للإبداع والدراسات العمّانية (حقل الرواية) التي أطلقها آل العرموطي برعاية بيت الشعر الأردني سنة 2008 عن روايته "الشهبندر". وفاز بمنحة ضمن مشروع التفرغ الإبداعي الثقافي الذي تشرف عليه وزارة الثقافة سنة 2007.

كتب غرايبة وأعدّ مجموعة من السيناريوهات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات الثقافية والفكرية العربية، وصدر له أعمال أدبية في الرواية والقصة والمسرح والنصوص، من بينها: "هموم صغيرة"، "قلب المدينة"، "عدوى الكلام"، "حبة قمح"، "بيت الأسرار"، "المقامة الرملية"، "الشهبندر"، "بترا: ملحمة العرب الأنباط"، "البحّار.. حيّ ولا أخاف"، "القطّ الذي علّمني الطيران"، "الحياة عبر ثقوب الخزان" و"الوقوف على قدم واحدة".